جهود الزوايا والمداس القرآنية في جنوب الصحراء الجزائرية
في المحافظة على الموروث الديني ، دراسة نماذج

د. بكراوي محمد عبد الحق
الجامعة الإفريقية العقيد أحمد دراية – أدرار

ملخص:

لقد لعبت المدارس القرآنية والزوايا دورا في منطقة الصحراء وبالخصوص في الإقليم التواتي الذي اشتهر على مدار التاريخ ولا يزال بكثرة الزوايا والكتاتيب المنتشرة في ربوع الإقليم والتي أحصيت بحوالي 100 زاوية على مدار التاريخ لا يزال ثلث هذا العدد ناشط في حقل التدريس والتعليم والتربية إلى يوم الناس هذا .غير أن هذه المدارس تتشابه في المنهج والمضمن وحتى الطريقة أحيانا اللهم إلا في بعض المسائل الثانوية .

غير أنه وعملا بالقاعدة الفقهية ما لا يدرك كله لا يترك جله الأمر الذي جعل الباحث سيقتصر في هذه الدراسة على نموذج تطبيقي واحد لما استحال عليه دراسة جميع هذه الزوايا في هذا المقام ليخص بالدراسة المدرسة التعليمة للشيخ سيدي محمد بن الكبير وما كان لهذه المدرسة من نشاط في نشر التعليم القرآني والعلوم الشرعية . كما كان لها دور بارز في الحفاظ على المذهب الفقهي المالكي في المنطقة واستقرارها والحفاظ على نسيجها الاجتماعي والثقافي.

الكلمات الدالة : الزوايا التواتية - الإقليم التواتي - مدرسة الشيخ سيدي محمد بن الكبير.

Abstract:

Quranic schools and zawaya have played an imortant role in the Sahara region and in particular in Touati region, which became famous throughout history and remains for its abundance of Zawayas and quranic schools scattered throughout the region, which counted more than 100 zawayas throughout history a third of that number is still active in teaching, learning and education field to the day, these schools are similar in approach and content and sometimes even the way except in some secondary issues.

However, and pursuant to jurisprudence rule what cannot be completely attained, should not be completely left the researcher studies will be limited to one model Since it is impossible to study all these zawayas in this regard to study instruction school of Sheikh Sidi Mohamed Ben Lkbir for its activities in the dissemination of Quranic education and forensic science, also it had a prominent role in maintaining the Maliki school of thought in the region and its stability and the preservation of the social and cultural Heritage.

Keywords : Zawaya and Quranic Schools, Touati region, Sheikh Sidi Mohamed Ben Lkbir School.

www.manaraa.com

مقدمة:

الحمد الذي بنعمته تتم الصالحات، يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم، ندب عباده إلى فعل الخيرات، فكان { **مِنَ الْمُومِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّنْ يَّنتَظِرُ**}، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، و خير المعلمين الناصحين.

أما بعد:

لقد حبا اللّه سبحانه وتعالى بلدنا الجزائر بكثير من الخيرات في الرزق ،والأمن ،والعباد المخلصين فصدق فينا قوله تعالى : { **كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ**} **[سبأ:15]** ،ومن الخيرات التي أكرمنا اللّه بها بلدنا الكريم أن قيد لها رجالا مخلصين حملوا على عاتقهم حمل رسالة الأنبياء والرسل وتبليغها إلى الناس كافة جاهليهم ومتعلمهم ،صغيرهم وكبيرهم ،رجالهم وحتى نسائهم ،وبذالك صدق فيهم قول المولى عز وجل: {**فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ**} [التوبة:122]

وحتى تبقى رسالتهم هؤلاء العلماء حية فقد أسس هؤلاء النخبة من العلماء مدارسة وزوايا قرآنية لازلة حية بذكر القرآن وتعاليم الدين الحنيف في ربوع الوطن خاصة في منطقة الصحراء وتخص بالذكر منطقة توات – أدرار حليا- والتي عرفت منذ القدم انتشار المدارس القرآنية والزوايا في أصقاعه بدأ من إقليم قرارة وصولا إلى منطقة تديكلة ،ويعود تاريخ إنشاء أول زاوية للقرن السدس هجري عندما نزول العالم الرباني سيدي سليمان بن علي بمنطقة تعرف حاليا بإسم أولاد أوشن ،والذي أسس بها أول زاوية في إقليم توات عرفت بإسمه[1]،لينتهج العلماء والفقهاء من بعده على نهجه في إنشاء زوايا لتعليم القرآن وعلومه وإكرام الضيف يوم الناس هذا،و قد كان لهذه الزوايا دور بارز في نشر العلوم الشرعية واللغة العربية والفقه والعقيدة ،وتحفيظ القرآن ،فكانت حاضرة من حواضر العلم يأتي إليها طلبة العلم من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم في دينهم ودنياهم .

وحتى لا تنقطع سنة إنشاء الزاويا والمدارس القرآنية فقد سار بعض الخلف على منهاج السلف، ومن هؤلاء الخلف الشيخ سيدي محمد ابن الكبير – ثيب اللّه طراه- والذي أنشاء زاوية عرفت باسمه لا تزال قائمة إلى يوم الناس هذا تنشر العلم وتكرم الضيف ،وتطعم السائل

---

[1] – يرجع تأسيس زاوية سيدي سليمان بن علي إلى القرن السادس للهجرة (6ه)، والذي بدأ التدريس فيها لطلبة العلم القرآن الكريم وعلوم الدين وعلم التصوف قبل وضعه الحجر الأساس لهذه الزاوية بداية من سنة 581هـ إلى أن وضع الحجر الأساس، أوالانطلاقة الفعلية لتشييدها سنة 593هـ بقصر أولاد أوشن-أدرار .

www.manaraa.com

والمسكن.ولقد كان لهذه أثر بارز على إقليم توات بل في ربوع الجزائر كلها بفضل الأئمة والعلماء والمردين الذين تخرجوا منها وحملوا على أكتافهم رسالة الأنبياء والرسل [1] .

ولأن الحديث عن الزوايا ودورها في المجتمع حديث دو شجون لا تسعه الكتب المطولة ذات الألف والألفين من الصفحات فإن الباحث سيقتصر في حديثه- مخافة الطول – في البحث على دور زاوية (المدرسة القرآنية) الشيخ سيدي محمد بن الكبير كأنموذج .

هذا وتتمحور إشكالية هذه الورقة البحثية في كيفية مساهمة زاوية سيدي محمد ابن الكبير في الحفاظ على الموروث الديني في جنوب الصحراء الجزائية ؟ ومن هذا المنطلق يطرح الباحث الأسئلة الفرعية المكملة للإشكال الرئيسي وهي :

- ما مفهوم الزاوية ؟ وكيف نشأ الشيخ في الشيخ في منطقة توات ؟ وكيف كان عصره؟ وكيف أنشاء الشيخ زاويته ؟
- ما منهج الشيخ في تدريس طلبته ومريديه في زاويته؟ وما هي العلوم التي أعتمد على تدريسها في حاضرته العلمية؟ وما أثر جهود الزاوية على المجتمع ؟

كل هذه الأسئلة وغيرها سيحاول الباحث الإجابة من خلال الخطة التالية :

- **تمهيد: للتعريف بإقليم توات ومفهوم الزاوية والمدرسة.**
- **المبحث الأول: ترجمة الشيخ سيدي محمد ابن الكبير**
- **المبحث الثاني: العلوم المقررة والكتب المعتمدة في الزاوية.**
- **المبحث الثالث: أثر الزاوية على المجتمع**

تمهيد:

لما كان الحكم على الشيء فرع عن تصوره؛ فلا يحكمْ على شيء إلا بعد تصوره تصوُّرًا تامًّا؛ حتى يكون الحكم مطابقًا للواقع كان لزاما على الباحث أن يعرف بإقليم توات حاضرة العلم والزوايا وحاضنتها، ليعقبه بالتعريف مصطلح الزاوية حتى يتسنى للقارئ معرفة مضامين الزاوية والأسس التي ترتكز عليها .

أولا - التعريف بتوات:

يطلق اسم توات على الجنوب الغربي للصحراء الجزائرية ،يحدها من الشمال: العرق الغربي الكبير ومنطقة تيكورارين[2]، وواد الساورة وعرق الراوي، ومن الغرب: واد مسعود، ومن

---

[1] – أ.د/ المصري مبروك: المدرسة الفقية التواتية، مجلة البحوث العلمية والدراسات الإسلامية، تصدر عن مخبر بحث الشريعة جامعة الجزائر، السنة الأولى: 1425ه/ الموافق : 2004م، العدد الأول، ص:98.

[2] – وبعضهم يسميها (تينجورارين) ، وهي الناحية الشمالية من توات وهي مقاطعة مدينة تيميمون وضواحيها حاليا.

www.manaraa.com

الجنوب الغربي: عرق شاش، ومن الشرق: هضبة تادمايت وتيدكلت[1]، ومن الجنوب الشرقي: سبخة مكرغان وتنزروفت[2]، وبهذا التحديد تكون توات تمتد بين خطي طول 2.30 و3.30 درجة غربا، و دائرتي عرض 26.7 و 28.5 درجة شمالا[3].

ثانيا - التعريف بالزاويا ونشأتها بأرض توات:

(01) – الزوايا:

لغة: الزوايا جمع زاوية من زوى يزوي بمعنى جمع، والزاوية من البَيْتِ: رُكْنُه ، فاعِلَةٌ من [زَوَى يَزْوِي إذا جمع لأَنَّها جَمَعَتْ قطرا مِنْهُ [4]. وَفِي الحَدِيثِ: (زُوِيَتْ لي الأَرْضُ فَرَأَيْتُ مَشارِقَها ومَغارِبَها وَسَيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِي مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا). [5]

اصطلاحا: أطلق مصطلح الزاوية بعدة معاني أهمها:

- بادئ الأمر أطلق مصطلح الزاوية وأريد به الدير وصوامع الرهبان؛
- ثم أطلقت وأريد بها مأوى العُبَّاد والفقراء والصوفية وطُلَّاب العلم، والمسجد غير الجامع ليس فيه منبر،
- وأطلق هذا اللفظ قديما على موضع بالبصرة كانت به الوقعة بين الحجاج بن يوسف وعبد الرحمن بن الأشعث، وعلى بلد بالموصل، و قرية قرب المدينة المنورة بها قصر أنس بن مالك، وقرية بالأندلس[6]، كما سميت بها مدينة بالجماهرية الليبية قرب مدينة أطرابلس، ويطلق اسم الزاوية عندنا بتوات على عدة مدن [7]،

---

(1) – منطقة أولف وضواحيها.

(2) - تنزروفت : الصحراء الشاسعة باللهجة الأمازغية .د/ أحمد حمدي، محمد بن عبد الكريم المغيلي رائد الحركة الفكرية بتوات عصره وآثاره، رسالة ماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية، جامعة وهران كلية العلوم الإنسانية والحضارة الإسلامية، قسم الحضارة الإسلامية، الموسم الجامعي: 1999م/2000م، هامش :05، ص:08.

(3) – د/ أحمد الحمدي: المرجع السابق ، ص: 08

(1)- مرتضى الزَّبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس ، محقق: مجموعة من المحققين، دار الهداية ، بيروت، 38/227 ، صلاح مؤيد العقبي: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشأتها، ط/ 2002م، دار البراق ـــ لبنان ، ص:301،أبو عمر يوسف بن عبد البر: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، تحقيق: مصفى بن أحمد العلوي ، محمد عبد الكبير البكري، الناشر: وزارة عموم الأوقاف والشؤون الإسلامية – المغرب، 1387 هـ ،15/141.

(5) – سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني (ت: 360هـ): مسند الشاميين،تحقق: حمدي بن عبد المجيد السلفي، باب مَا انْتَهَى إِلَيْنَا مِنْ مُسْنَدِ سَعِيدِ بْنِ بَشِيرٍ وَأَصْلُهُ بَصْرِيٌّ نَزَلَ الشَّامَ وَمَاتَ بِهَا،حديث رقم (2690)ط/الأولى ،الأولى، 1405 – 1984،مؤسسة الرسالة – بيروت ،04/45.

(6) - مرتضى الزَّبيدي ، مصدر سابق ، 38/227-228، المعجم الوسيط: مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ص:408، المكتبة الشاملة ، صلاح مؤيد العقبي ، مرجع سابق ، ص: 302، الزمخشري: أساس البلاغة ، تحقيق: محمد باسل عيون السود ،دار الكتب العلمية، بيروت لبنان، ج1/427، محمد نسيب: زوايا العلم والقرآن بالجزائر ، دار الفكر ، المرادية ، الجزائر، ص:27.

(7) – منها زاوية الدباغ ، وزاوية سيدي الحاج بالقاسم ، وزاوية سيدي البكري ، وزاوية كنتة...

www.manaraa.com

- ثم تَطَـوَّرَ مفهـوم الزاويـة مـن أمـاكن للتعبـد والخلـوة، إلى مؤسسـة علميـة قائمـة بـذاتها تستقبل طُلَّاب العلم، وتقوم بتحفـيظ القـرآن وتـدريس العلـوم الدينيـة مـن فقـه وحـديث وتفسير و توحيـــــد، والعلوم اللغوية من نحو وصرف وبلاغة، وإضافة إلى ذلك تـوفر للطُلَّـاب الوافدين الإيواء والطعام مجانا، كما يجـد فيهـا الـزُوَّارُ وعـابر السَّـبيل الإقامـة المريحـة وراحـة البال.[1]

وخلاصة القول أن مصطلح الزاويـة إذا أطلـق يـراد بـه في الاصـطلاح : مؤسسـة دينيـة روحية، اجتماعية وإسلامية أنشأها أهـل الخـير والصـلاح والعلـم في منطقـة تـوات لأجـل نشـر العلم وإيصال النفع للفقراء والمعوزين وابن السبيل.

(02) - نشأة الزوايا بتوات:

قد عرف إقليمُ توات الزوايا منذ تاريخ بعيد وقرون خلت،- كما سبق وأن أشارنا- حيـث أن جل المخطوطات التي وقفنا عندها تؤكد السبق للولي الصالح سيدي مولاي سليمان بـن علـي [2]في تأسيس الزوايا بمنطقة توات، وأول زاوية أنشأت للعلم، وإذا كانت هناك زوايـا أخـرى أسسـت قبله بالمنطقة فلم تُعرف، ولم نجد لها أي ذكر أو أثر يدلان على ذلـك، وبالتـالي، فـإنّ زاويـة مـولاي سـليمان بـن علـي أول زاويـة في هـذا الإقلـيم تأسسـت في القـرن السـادس الهجـري حـوالي (581هـ/1185م)[3]، ثم تواصل تأسيس الزوايا بعد ذلك في كامـل الإقلـيم بفضـل رجـال حملـوا على عاتقهم لواء العلم والمعرفة.

(3) – تعريف المدرسة:

إن الباحث في كتب ومعاجم اللغة لا يكاد يجـد أثـر لاسـتخدام النحـاة لهـذا المصـطلح وذالك لكون هذا المصطلحات هـو مـن المصـطلحات الحديثـة المترجمـة للغـة العربيـة ،إلا أنـه

---

(1) – صلاح مؤيد العقبي: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر تاريخها ونشاطها، دار البراق، بيروت – لبنان، ص: 303.

(2) – هو: أبو داود سليمان بن على الشريف بن عمر بن أحمد بن محمد، يرجع نسبه إلى عبد اللّه الكامل ابن الحسن المثنى بـن الحسـن السبط بن علي بن أبي طالب وفاطمة بنت رسول اللّه - ε - . ولد بفاس سنة (549ه/1154م)، ودرس بها على يد الشيخ سيدي علي بن حرزهم، و بعد ما أتم تعليمه نصحه شيخه بالذهاب إلى توات، نزل توات عام (580ه/1184م) بقرية تنيلان بأدرار ، ثم أنتقل منها إلى قرية أولاد عيسى عام (593ه/1197م)، ثم أستقر به المقام أخيرا بقرية أولاد أوشن سنة (595ه/1199م). و بها أسس زاوية بسند من أصهاره أولاد مطاع، أصبحت مقصدًا لطلَّاب العلم، ولجئً للفقراء وعابر السبيل، وخاصة حجاج بيت اللّه الحرام ، فقد وجدوا فيها الراحة وما يبتغون من الأجوبة العلمية في أحكام الحج وغيره، كما اشتملت الزاوية على خزانة علمية جمعت مخطوطات عدة في شتى فنون العلم؛ من فقه وحديث ونحو وغير ذلك من أصناف العلوم، عرف سيدي سليمان بن علي بمكانته العلمية والزهد والتواضع، توفي عام (670ه/1271م) بقرية أولاد وشن وقبره مشهور بها، معجم أعلام توات: د/ عبد اللّه مقلاتي، و د/ مبارك جعفري، طبع وزارة الثقافة – الجزائر، ص: 166-167.

(3) - رقية بكراوي، وعائشة حيداوي: الزاوية البكرية بتوات ودورها في الحياة الثقافية خلال القرن 12هـ/13هـ، مذكرة تخرج لنيل شهادة ليسانس في التاريخ :2008 ـــ2009م جامعة ادرار.

www.manaraa.com

وبالموازاة يجد أن فقهاء اللغة استخدموا مصطلحا قريبا منه في اللغة والمعنى وهو مصطلح (المِدراس) - بكسر الميم- والذي يراد به:

البيت الذي يُدْرَسُ فيه القرآن، وهذا المصطلح يطلق بإطلاقين:

الإطلاق الأول: يعني مكان الدراسة والتعليم، المسمى عند القدماء المِدراس بكسر الميم.

الإطلاق الثاني: تعني الجَمَاعَة من الفلاسفة أو المفكرين أو الباحثين تعتنق مذهبا معينا أو تَقول بِرَأْي مُشْتَرك . ومنه يُقَال هُوَ من مدرسة فلَان على رَأْيه ومذهبه[1].

وعلى أي حال فالمدرسة مصطلح حادث استخدمه أهل اللغة والفلسفة والأدب، وكذا أهل الفقه والأصول، والاقتصاد والاجتماع والسياسة[2].

المبحث الأول: ترجمة الشيخ سيدي محمد بن الكبير:

المطلب الأول: نسبه و مولده:

هو الفقيه الشيخ سيدي أبو عبد اللّه محمد بن سيدي محمد عبد اللّه بن محمد بن عبد الكبير... بن الشيخ سيدي الحاج عبد اللّه الغماري، دفين قرية الغمارة، يرجع في النسب إلى الخليفة الراشد سيدنا عثمان بن عفان - τ - ، و بين جده سيدي عبد الكبير و الشيخ سيدي عبد اللّه الغماري آباء لا تعرف أسماءهم[3].

ولد الشيخ سيدي محمد بن الكبير- رحمه اللّه - من أسرة شريفة القدر، سليلة الكرم والجود، معدن العلم والتقى، من أبوين كريمين سيدي محمد عبد اللّه بن الكبير الحافظ لكتاب اللّه، والسيدة الفاضلة مبروكة بنت سيدي المهدي رحموني ببلدة الغمارة (قرية من قرى بودة) الواقعة في الجنوب الغربي من مدينة أدرار على بعد25 كلم في حدود عام1329 هـ/1911م [4].

المطلب الثاني: نشأتــه:

نشأ الشيخ - رحمه اللّه - في ظل أبوين كريمين، يتروى من معينهما الطيب أخلاقا حسنة، وينسكب عليه من وجدانهما العطف والحنان، ثم شاءت الأقدار أن ترحل أمه إلى الدار الآخرة وهو صغير وتركته وحيدا مع أبيه، فتربى في كنفه على اكتساب مكارم الأخلاق وحب القرآن .

---

[1] - د/ محمد المختار محمد الامامي: المذهب المالكي (مدارسه ومؤلفاته- خصائصه وسماته)، الطبعة/ الأولى:1422هـ/2002م،إصدار مركز زايد للتراث والتاريخ، الإمارات العربية المتحدة، العين، ص:24.

[2] - د/ المصري مبروك: المرجع السابق، ص: 99.

[3] - ذاك ما ذكره لي الشيخ سيدي الكبير بن الكبير بمنزله مساء يوم الثلاثاء 03 شعبان 1432هـ/05 جويلية 2011م.

[4] - ش/مولاي التهامي غيتاوي ، الضوء المستنيرفي معرفة الشيخ سيدي محمد بن الكبير: المؤسسة الوطنية للنشر والإشهار، رويبة، 2007، ص:10.

www.manaraa.com

المطلب الثالث: مراحل دراسته:

بدأ الشيخ سيدي محمد بن الكبير مشواره الدراسي منذ صباه ،فأدخله والده الكُتَّاب فتعلم القرآن على يد الشيخ محمد بن عبد الرحمن طالبي التمنطيطي، وعمه الشيخ سيدي عبد الكبير بن محمد بن الكبير إمام القرية، فحفظ القرآن وهو صغير لم يتجاوز عمره العشر سنين، وتعلم مبادئ علم التوحيد والفقه واللغة على يد عمه، كما استفاد من خاله سيدي محمد (فتحا) بن المهدي رحموني، وكان من الموسومين بالعلم والتصوف في وقته.

ثم بعد أن أشتد عظمه وناهز البلوغ بعثه أبوه لإحدى حواضر العلم والمعرفة في توات آنذاك تمنطيط، إلى مدرسة العلامة الفقيه الشيخ سيدي أحمد ديدي[1] التي كانت منبعا من منابع العلم بإقليم توات، فضرب المثل الرائع في الجد والاجتهاد في طلب العلم بمدرسة الشيخ سيدي أحمد ديدي، مكث بها ثلاث سنين قرأ فيها بعض المتون المتداولة في المدرسة في فنون شتى من العلوم المقررة حينئذ؛ وكان المقرر دراسته من فنون العلم في ذالك الوقت ما يلي:

- **علوم العقيد:** ودرس في هذا متن الأوجلي[2]، ومتن جوهرة التوحيد[3] .

---

[1]- الشيخ العلامة العالم، الفقيه، الورع، سيدي أحمد بن محمد العالم ، الملقب بديدي التمنطيطي، اختلف في تاريخ ولادته، قيل: ولد سنة (1298هـ/1880م) و قيل سنة (1299هـ/1881م) بتمنطيط، تعلم ودرس على يد الطالب محمد بن الطالب عبد الواحد، وأخذ أخيه الشيخ سيدي البكري، وبعد اشتداد عوده وظهور ميوله للعلم توجه به أخوه سيدي البكري نحو مدينة كوسام، إلى العالم الجليل سيدي عبد اللّه بن أحمد البلبالي فتفقه على يديه حتى أصبح آية في العلوم الشرعية و اللغوية، توفي - رحمه اللّه - بعد عصر الجمعة 15 شوال 1370هـ الموافق 20 جويلية1951م، ش/ سيدي محمد (العالم) بكراوي، الدرة البهية في الشجرة البكرية، مخطوط بخزانته بالمنيعة، ص: 77. أ/عبد الحميد بكري، النبذة في تاريخ توات و أعلامها، دار الهدى للطبع والنشر والتوزيع، عين مليلة ـ الجزائر، ص: 174

[2] – للشيخ محمد الصالح بن سليم الأوجلي الليبي، ش/ عبد الرحمن بن أحمد ولفي: القول الجلي على نظم الأوجلي، في توحيد الرب العلي، الطبعة : الأولى: 1404هـ/1983م، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة- الجزائر، ص: 73-74.

[3] – للشيخ إبراهيم اللقاني (ت 1041هـ/1631م ش/ محمد مخلوف: شجرة النو الزكية، تحقيق: ش/ عبد المجيد خيالي، /الأولى: 1424هـ/2002م دار الكتب العلمية، ترجمة (1136)، 1/421.

www.manaraa.com

- **علوم الفقه:** ودرس في ذلك منظومة ابن عاشر[1]،ومختصر العبادات للأخضري[2]، والعبقري في نظم سهو الأخضري[3]،ورسالة ابن أبي زيد القيرواني[4]،ومختصر خليل بن إسحاق[5]، وتحفة ابن عاصم[6].

- **علوم اللغة العربية:** ودرس فيها متن الأجرومية[7]،وملحة الإعراب[8]،وألفية ابن مالك[9]، ولامية الأفعال[10].

- **علوم التصوف:** ودرس في ذلك الحكم العطائية[11].

و بعد انتهاء ثلاثة سنوات قضاها بكل جد واجتهاد في الطلب والتحصيل جاء والده يستأذن شيخه وأستاذه الشيخ سيدي أحمد ديدي في أخذه ليعينه على متاعب الدنيا ومشاكل الحياة. فبكى الشيخ سيدي محمد بن الكبير وقال لوالده إنني ما قرأت شيئا. فقال له: شيخه: (ما قرأته فقد قرأته وما لم تقرأه سيفتح اللّه لك فيه) - و قد تحقق له ما أخبر به شيخه بفضل اللّه. كما أخبر عن نفسه - ورجع مع والده إلى بلده.

المطلب الرابع: وفاته:

و بعد ما قضى الشيخ سيدي محمد بن الكبير ـ رحمه اللّه ـ أزيد من ستين عاما شافعا ليلها بنهارها في نشر العلم، و تنوير العقول من رواسب الشكوك و الأوهام، محللا للمشكلات، و مذللا لما استعصى فهمه على العقول من عويصات المسائل بالبراهين

---

(1) – المسماة: (المرشد المعين على الضروري من علوم الدين)، للشيخ عبد الواحد بن عاشر (ت: 1040هـ/1630م)، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني: المصدر السابق ، (732)، 2/310.

(2) – الشيخ عبد الرحمن بن محمد الصغير – بالتصغير – الأخضري، (ت982هـ/1574م)، معجم مشاهير المغاربة: مجموعة مؤلفين، طبعة/ 1416هـ/1995م، المؤسسة الوطنية للطباعة والنشر- الجزائر، ص: 31- 33 .

(3)- للشيخ محمد بن أبَّ (ت:1160هـ/1747م)، ش/ محمد باي بلعالم: الرحلة العلية إلى منطقة توات، طبع 2005م، دار هومة – الجزائر، ص: 89.

(4) – للإمام أبي محمد عبد اللّه بن أبي زيد القيرواني: (ت 386هـ/996م) . القاضي/ إبراهيم بن فرحون: الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب، تحقيق: مأمون بن محيي الدين الجنَّان، الطبعة الأولى :1417هـ/ 1996م، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ترجمة (271)، ص:222- 223.

(5) – للشيخ خليل بن إسحاق الجندي (ت 776هـ/1374م)، القاضي/ إبراهيم بن فرحون: المصدر السابق، ترجمة (224)، ص: 186.

(6) – للإمام أبي بكر بن عاصم (ت829هـ/1425م) ،ش/ أحمد بابا التنبكتي: كفاية المحتاج لمعرفة ما ليس في الديباج، تحقيق: أبي يحيى عبد اللّه الكندري، الطبعة الأولى: 1422هـ/2002م، دار ابن حزم، بيروت – لبنان ، ترجمة (508)، ص: 378 – 379.

(7) – للشيخ أبي عبد اللّه محمد المشهور بابن آجروم (ت 723هـ/1323م)، الإمام/ السيوطي: بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، تحقيق: محمد عبد الرحيم، الطبعة /الأولى:1425هـ/2005م، بيروت لبنان، ترجمة (434)، ص: 207 – 208.

(8) – للإمام/ أبي محمد القاسم بن علي الحريري (ت 516هـ/1122م)، الإمام/ السيوطي: المصدر السابق، ترجمة (1927)، ص:690 – 692.

(9) – للإمام/ أبي عبد اللّه محمد بن مالك النحوي المشهور (ت 672هـ/1273م)،). الإمام/ السيوطي: المصدر السابق، ترجمة (224) ص: 127 – 133.

(10) – منظومة في علم الصرف لابن مالك صاحب الألفية.

(11) – للإمام/ ابن عطاء اللّه السكندري (709هـ/1309م)، الإمام/ السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة: تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم،الطبعة/ الأولى: 1387 هـ/1967م،دار إحياء الكتب العربية - عيسى البابي الحلبي وشركاه – مصر، ترجمة (59)، 1/524.

www.manaraa.com

الواضحات، لا تلهيه عن ذلك تجارة ولا بيع، ولا تصده عن عزمه المعضلات، فكان من الذين قال اللّه فيهم: {فما وهنوا لما أصابهم في سبيل اللّه وما ضعفوا وما استكانوا واللّه يحب الصابرين}[آل عمران: 146].

حتى أعجزه المرض، وفي صبيحة الجمعة السادس عشر من جمادى الثانية سنة (1421هـ/2000/09/15م) وافته المنية وقد ناهز(89) من عمره، و صُلِّيَ عليه يوم السبت الموالي له، فعليه رحمات اللّه و شآبيب رضوانه و مغفرته.

المبحث الثاني: مدرسة الشيخ سيدي محمد بن الكبير:

المطلب الأول: تأسيس مدرسة الشيخ سيدي محمد بن الكبير:

تأسست مدرسة الشيخ سيدي محمد بن الكبير في الخمسينيات من القرن المنصرم بمدينة أدرار، يتلقى فيها طلبة العلم تعلم القرآن والعلوم الشرعية في إطار نظام داخلي محكم ، يسهر على تعليمهم الشيخ سيدي محمد بن الكبير بنفسه ويعينه نخبة من رجال العلم ممن تعلموا وتربوا في مدرسة الشيخ.

يتم استقبال الطلبة المحليين والوافدين عليها من جميع جهات البلاد ومن مختلف الأعمار،و يبدأ الطالب أولا بحفظ القرآن الكريم على يدي أولئك المعلمين، وبعد حفظه للقرآن وإتقانه ينتقل الطالب إلى حلقة الشيخ لحفظ فنون العلم المختلفة من فقه وتوحيد ونحو وصرف وتصوف وغيرها من العلوم الأخرى، و بعد تزود الطلاب بالعلوم والمعارف الإسلامية – كل حسب ما تيسر له- يشارك أغلب الطلبة في مسابقات الدخول إلى معاهد تكوين الإطارات الدينية التابعة لوزارة الشؤون الدينية والأوقاف الجزائرية لتولي مهمة الإمامة والتعليم القرآني بمساجد الوطن [1].

المطلب الأول: العلوم المقررة:

لقد كانت مجالس الشيخ و دروسه باقة من ورود يجد فيها طالب العلم ما يحب و يشتهي ، من علوم متنوعة ،و طرائف مسلية ،تجمع بين المعرفة العلمية و الاستئناس الأدبي، والمواد المقررة للتدريس بمدرسة الشيخ سيدي محمد بن الكبير قسمان:

1 ـ قسم مقرر في جميع مراحل التعليم .

2 ـ قسم مقرر في مواسم معينة.

[1] ـ انظر: أ / صلاح مؤيد العقبي: الطرق الصوفية والزوايا بالجزائر (تاريخها و نشاطها) ، دار البراق ـ بيروت ـ لبنان ، ج2/ 564 – 566 .

www.manaraa.com

القسم الأول: المواد المقررة في جميع مراحل التعليم:

أ ـ علم العقيدة:

وعلوم العقيدة هي أول ما يدرسه الطلبة حتى يتمكن الإيمان من قلوبهم وتسكن إليه أنفسهم، إذ معرفة اللّه و رسله أول ما يجب على المكلف، قال الشيخ ابن عاشر[1]:

أول واجب على من كلفا ممكنا من نظر أن يعرفا

اللّه والرسل بالصفات ممَّا عليها نصب الآيات(2)

و يقول الشيخ أبو العباس الهلالي(3) في حديثه عن (أهم العلوم وأولاها بالتحصيل):

أهمه عقائد ثم فروع تصوف و آلة بها الشروع [4]

ب – علم الفقه:

بعد معرفة علوم العقيدة يبدأ الطالب بدراسة علم الفقه، على مذهب الإمام مالك بن أنس، إمام أهل المدينة المنورة.

والفقه من أشرف العلوم وأفضلها، إذ به تنتظم حركة الإنسان في جميع مجالات الحياة، سواء في علاقة العبد مع ربه، أو في علاقة الإنسان مع أخيه الإنسان.

و قد مدحه بعضهم فقال:

إذا ما اعتز ذو علم بعلم فعلم الفقه أشرف في اعتزاز

فكم طيب يفوح و لا كمسك و كم طير يطير و لا كباز[5]

و ممَّا يعزى للإمام الشافعي، رحمه اللّه:

تفقه فإن الفقه أفضلُ قائد إلى البر والتقوى، و أعدل شاهد

---

(1)- سيدي عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر أحد أعلام المذهب المالكي كان عالما بالقراءات والفقه و أصوله و بالمنطق والحساب وغير ذلك من العلوم، توفي يوم الخميس03 ذي الحجة 1040هـ/1630م. ش/ محمد مخلوف: شجرة النو الزكية، تحقيق: ش/ عبد المجيد خيالي، /الأولى: 1424هـ/2002م دار الكتب العلمية، ترجمة (1182)، 1/ 434 . ش/محمد البشير ظافر الأزهري، طبقات المالكية، ط/الأولى: 1420هـ/2000م، دار الأفاق العربية ، القاهر- مصر، ترجمة (313) ، ص: 170.

(2)- ش/ابن عاشر ، متن ابن عاشر، ط/ رودوسي قدور بن مراد ، الجزائر، ص:03.

(3)- أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الهلالي العالم الفقيه لم يذكر المؤرخون له تاريخ ميلاده أخذ عن أعلام منهم: الشيخ أحمد العماري المصري، وأبو عبد اللّه محمد الزرقاني ، و الشيخ محمد بن عبد السلام البناني، وعن أبي عبد اللّه المسناوي، كما أجازه الشيخ محمد الطيب الشرقي الفاسي المجاور بالحرم النبوي ، له شرح على المختصر لم يكمل ، وشرح على= =خطبة القاموس واصطلاحه ، وله رسائل في مسائل علمية، توفي سنة (1175هـ/1761م). ش/محمد بن الحسن الحجوي: الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ، تخريج وتعليق، عبد العزيز بن عبد الفتاح القاري ، ط/الأولى:1396هـ/1976م ، دار التراث ، القاهرة ، ترجمة (717) ، 2/ 290 . ش/ محمد مخلوف: شجرة النور الزكية في طبقات المالكية ، تخريج وتعليق: عبد المجيد خيالي ، ط/الأولى1424هـ/2002م ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ترجمة (1432) ، 1/ 511. .

(4)- ش/ عبد الصمد التهامي كنون: النسق الغالي والنفس العالي ، شرح نصيحة الهلالي، مطبعة الكيلاني ، القاهرة ، ص:140.

(5)- ش/ابن حمدون: حاشية ابن حمدون مختصر على الدر الثمين و المورد المعين ، ط/مصطفى البابي الحلبي وأولاده ـ مصر ،1/ 23.

www.manaraa.com

هو العلم الهادي إلى سنن الهدى هو الحصن منجي من جميع الشدائد
فإن فقيها واحدا متورّعا أشدّ على الشيطان من ألف عابد[1]

ج ـ علم التصوف:

إن علم التصوف أو ما يعرف بتزكية النفوس من أجل العلوم وأفضلها، إذ هو علم يبحث في أدواء القلوب ودوائها ، والقلب هو أساس فلاح الإنسان وخسرانه، قال رسول اللّه - صلى اللّه عليه و سلم - : « أَلاَ وَإِنَّ فِى الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ أَلاَ وَهِىَ الْقَلْبُ»[2]. بل إن علم التزكية أحد أقسام الدين الثلاثة ؛ الإسلام والإيمان والإحسان، المشار له في جواب الرسول - صلى اللّه عليه و سلم- لجبريل- عليه الصلاة والسلام - لّما قال: « فَأَخْبَرَنِي عَنِ الْإِحْسَانِ قَالَ:« أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ, فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ» [3].

و هو وظيفة الرسل - عليهم الصلاة و السلام - والعلماء من بعدهم، فإبراهيم الخليل يدعو ربه أن يجعل في خلفه من يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم قال تعالى حكاية عن إبراهيم: {رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [البقرة: 129].

و قد أفاض علماء التربية والسلوك قديما في مدح علم التصوف ، وبينوا حقائقه ومعانيه وفي ذلك يقول بعضهم:

يا من تقاعد عن مكرم خلقه ليس التفاخر بالعلوم الظاهرة
من لم يهذب علمه أخلاقه لم ينتفع بعلومه في الآخرة[4]

---

[1]- انظر: ش/ عبد الصمد التهامي كنون: مرجع سابق:1/ 145.

[2]- جزء من حديث " الْحَلَالُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ ..." انظر: الإمام/البخاري ، الجامع الصحيح المختصر ، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر ، ط/الأولى ، 1422هـ/2001م ، دار طوق النجاة ، بيروت – لبنان ، كتاب (الإيمان) ، باب (فضل من استبرأ لدينه) ، حديث رقم (52) ،20/01 . الإمام/ مسلم: صحيح مسلم ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ـ لبنان، كتاب (المساقات) ، باب (أخذ الحلال وترك الشبهات) ، حديث رقم (1599) ، 1219/3.

[3]-الإمام/ مسلم: المصدر السابق ، حديث رقم (102) ، كتاب (الإيمان) ، باب (معرفة الإيمان و الإسلام و القدر و علامة الساعة) ،28/01 . الإمام/الترمذي: سنن الترمذي ، تحقيق: ش/ أحمد شاكر و ش/فؤاد عبد الباقي ، ط/1414هـ/1994م ، دار الفكر ، بيروت ـ لبنان ، كتاب (الإيمان) ، باب (ما جاء في وصف جبريل للنبي – ε– الإيمان والإسلام) ، حديث رقم (2619) ، 04/275- 276. الإمام/ أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي: سنن النسائي، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة ، ط/الثانية: 1406هـ/1986م، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب- سوريا، حديث رقم (4990)، كتاب (الإيمان وشرائعه)، باب (نعت الإسلام)، 08/97.

[4]- ش/ابن حمدون: مرجع سابق، 1/23. انظر أيضا: ش/احمد بن المأمون البلغيثي الحسني: مرجع سابق: 1/179. انظر أيضا: ش/ عبد الصمد التهامي كنون: مرجع سابق،2/179.

www.manaraa.com

و قال الشاعر[1]:

تخالف الناس في الصوفيّ واختلفوا فيه فظنوه مشتقا من الصوف
و لست أمنح هذا الاسم غير فتى صفا فصوفي حتى سمي الصوفي[2]

ج ـ علم اللغة العربية:

إن المحافظة على لغة القوم من دعائم عز الأمة وشرفها بين الأمم ، وإن الشيخ سيدي محمد بن الكبير ـ رحمه الله ـ كان له عناية كبرى باللغة العربية كعنايته بعلوم الفقه ، لأن اللغة العربية هي مفتاح فهم العلوم، خصوصا العلوم الشرعية.

قال تعالى: {إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ}[يوسف :02].

وقال تعالى: {وَإِنَّهُ لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ، بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ }[الشعراء: 192- 195].

هـ - علم التفسير:

إنَّ علم التفسير في نظر كافة المسلمين من أشرف العلوم وأرفعها، إذ هو أحد العلوم الشرعية الأساسية المتعلقة بالقرآن الكريم من حيث أنه يهدف إلى تحصيل القدرة على استنباط الأحكام الشرعية من كلام الله سبحانه، على الوجه الصحيح، ومعرفة مقاصده في تلك الأحكام، إضافة إلى تذكير المخلوق بحق الخالق، وتنبيه العباد للاستعداد ليوم المعاد، وتحذير الإنسان من مكائد الهوى والشيطان وغير ذلك مما يتحصل عليه العالم بتفسير كتاب الله من أسرار وعلوم. و قد أولى جهابذة علماء الإسلام في كل زمان اهتماما أكبر لتفسير كتاب الله عز وجل، وهكذا الشيخ سيدي محمد بن الكبير- رحمه الله – له جانب من الاهتمام بتفسير القرآن الكريم، فهو المفتاح لفهم كتاب الله و التدبر في مقاصده، يسير على منهج المفسرين بالأثر في غالب الأحيان يبين لطلبته معاني القرآن بقوله وعمله، تحقيقا لأمر الله عز وجل حيث قال:{ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ } [النحل:44].

و كان يعتمد في ذلك على كتب التفسير المشهورة مثل الجامع لأحكام القرآن، و تفسير الإمام ابن كثير ، وغيرهما من كتب التفسير المشهورة.

---

[1]- هو الإمام أبو الفتح علي بن محمد الكاتب البستي الشاعر المشهور، صاحب القصيدة النونية المشهورة، مطلعها:
زيادة المرء في دنياه نقصان و ربحه غير محض الخير خسران
توفي ببخارى سنة (400هـ/1009م) و قيل سنة (401هـ/110م). الإمام/ ابن خلكان : وفيات الأعيان و أنباء أبناء الزمان : تحقيق: د/ إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ـ لبنان ، ترجمة (470) ، 3/376 ـ 378.

[2]- انظر: ش/محمد الطالب بن حمدون ، مرجع سابق: 2/178. ش/ محمد بن أحمد ميارة: الدراالثمين والمورد و المورد المعين: ط/ دار الفكر بيروت - لبنان ، ص: 393. انظر أيضا: ش/أحمد بن المأمون البلغيثي الحسني: مرجع سابق ، 1/177.

www.manaraa.com

غير أن مادة التفسير لم يكتب لها الاستمرار، بل توقف عن تدريسها في أواخر حياته لما وصل إلى قوله تعالى: { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ} [العنكبوت:69]. قال: (لقد تم المقصود)، وذكر أن شيخه توقف في نفس الآية.

القسم الثاني: المواد المقررة في مواسم معينة:

كان الشيخ ـ رحمه الله ـ يخصص لبعض المواسم برامج خاصة في التدريس تتناسب مع تلك المناسبة و أقصد بالمناسبة شهر رمضان وشهر المولد النبوي الشريف، وكان برنامج الدراسة فيهما كالتالي:

أ ـ شهر المولد:

كانت ليال شهر المولد الشريف تخصص لقراءة المدائح و دراسة السيرة النبوية من مصادرها المعروفة ومن بين تلك المصادر: قصدتي البردة و الهمزية للإمام أبي عبد الله محمد بن سعيد البوصيري مع شروحهما.

و السيرة النبوية من أهم العلوم التي الإسلامية؛ إذ معرفة سيرة الرسول - ε - والعلم بشمائله، من أهم ما يجب تعلمه على المسلم، ويتأكد ذلك على طالب العلم؛ إذ الرسول- ε- هو القدوة المثلى في كل شأن من شؤون الحياة الفاضلة، قال تعالى:{ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا } [الأحزاب:21].

كما يجد الدارس لسيرة الرسول - ε- الصورة الواضحة لمعاني القرآن، إذ هو- عليه الصلاة والسلام - المخولُ له بيان ما أنزل الله من القرآن قولا وفعلا . قال تعالى: { وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ }[النحل:44].

ب ـ شهر رمضان:

شهر رمضان شهر القرآن كان برنامج شهر رمضان إضافة إلى تلاوة القرآن يخصص إلى دراسة الحديث وكان الشيخ ـ رحمه الله ـ يدرِّس فيه صحيح البخاري، وكان يجمع فيه بين دراسة كتاب الصحيح وشروحه .

كان الشيخ يعتمد في تدريس المواد المقررة على كتب معينة سواء كان في مجال الفقه أو اللغة العربية أو غيرهما؛ وذلك لما تميزت به هذه الكتب من الشهرة و القبول وتناقل ذلك

www.manaraa.com

علماء المغرب الإسلامي جيلا عن جيل، و لما جاء أن العمل والفتوى من الكتب المجهولة و التي لم يعلم صحة ما فيها لا يجوز[1].

الكتب المعتمدة في دراسة المقاييس المقررة :

- مقياس العقيدة:

أ - متن الأوجلي للشيخ محمد الصالح بن سليم الأوجلي[2].

ب - جوهرة التوحيد للشيخ إبراهيم اللقاني (ت1041هـ/1631م)[3].

ج - متن الخريدة البهية للشيخ أحمد الدردير (ت 1201هـ/1786م)[4].

مقياس الفقه:

أ - (المرشد المعين على الضروري من علوم الدين) ، (المعروف بمتن ابن عاشر).

للشيخ عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر (ت1040هـ/1630م) [5].

ب - (مختصر العبادات): للإمام الخضري (ت982هـ/1574م) [6].

ج- (العبقري في نظم سهو الأخضري):للشيخ محمد بن أب (ت1160هـ /1747م) [7].

---

(1) ـ الإمام/ القراقي، الإحكام في تمييز الفتيا عن الحكام و تصرفات القاضي والإمام: تحقيق: ش/ عبد الفتاح أبوغدة ، ط/الثانية: 1416هـ/1995م ، دار البشائر الإسلامية ، بيروت ـ لبنان ، ص:244. ش/ محمد بن أحمد ميارة ، الدر الثمين والمورد المعين ، ط/دار الفكر ، بيروت ـ لبنان ، ص:03.

(2) – تقدمت ترجمته ص: 06.

(3) – تقدمت ترجمته ص: 06.

(4) - ش/ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني: المصدر السابق ، ترجمة (196)، 1/393.

(1) ـ العلامة أبو مالك عبد الواحد بن أحمد بن عاشر الأنصاري الأندلسي الأصل، الفاسي المولد و القرار، فقيه أصولي، ولد سنة (990هـ/ 1580م)، توفي في ذي الحجة و عمره خمسون سنة عام (1040هـ/1630م. ش/ عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني: المصدر السابق ، ترجمة (732) ، 2/310

(2) ـ هو الشيخ الجليل العلامة الجزائري أبو زيد عبد الرحمن بن محمد الصغير- بالتصغير- بن عامر الشهير بالأخضري، العالم الفقيه، ولد في بنطيوس من قرى الزاب بالقرب من بسكرة، حوالي سنة (920هـ/1514م)، أخذ عن والده وعن شقيقه أحمد و غيرهم، توفي سنة (982هـ/1574م) و دفن بقرية بنطيوس فقبره مشهور بها إلى الآن، و قيل أنه لم يعش إلا ثلاثا وثلاثين سنة و عليه تكون وفاته سنة (953هـ/1546م). ش/ عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام ، ط/ 1400هـ/1980م، دار الثقافة، بيروت – لبنان ، 3/79-81. أ.د/ أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي ، ط/ الشركة الوطنية للنشر والتوزيع – الجزائر ، 01/507- 510 .

(3) - هو الشيخ سيدي أبو عبد الله محمد بن أبَّ بن أحمد، وفي رواية بن أحميد، بن عثمان، بن أبي بكر، المزمري نسبا ، التواتي مولدا ودارا ولد بقرية أولاد الحاج ضواحي مدينة أولف، وهي في التقسيم الإداري المعاصر تابعة لبلدية تمقطن دائرة أولف ولاية أدرار ، لم يعرف له الرواة تاريخ ميلاده، ولا شيئا عن أسرته ، ترك عدَّة مؤلفات منها: (العبقري في نظم سهو الأخضري) ، (روضة النسرين في مسائل التمرين) (وشرحه ، نظم مقدمة ابن آجروم) ، أرجوزة في علم العروض سماها: (روائق الحلل في ذكر ألقاب الزحاف و العلل) ، و غير ذلك، و مات ظهر الاثنين العاشر من جمادى الأخيرة سنة (1160هـ/ 1747م). ش/ محمد باي بلعالم: الرحلة العلية إلى منطقة توات، طبع 2005م، دار هومة – الجزائر، ص: 89.

www.manaraa.com

د- (رسالة ابن أبي زيد القيرواني): للإمام أبي عبد اللّه محمد بن أبي زيد القيرواني. (ت386هـ/996م) [1].

و ـ (المختصر): للإمام العلامة خليل بن إسحاق الجندي (ت776هـ/1374م) [2].

و كان يتناول المصنفات السابقة بالشرح والتحليل مع شروحها ـ وهي معروفة ـ مع بيان أدلة الأحكام من كتاب اللّه وسنة رسوله ـ صلى اللّه عليه وسلم ـ حتى يكون الطالب على دراية كافية و علم بمرجعية مذهبه .

مقياس اللغة العربية:

أ ـ (متن الآجرومية): للشيخ محمد بن آجروم الصنهاجي[3] (ت723هـ/1323م).

ب ـ (ملحة الإعراب): للإمام الحريري[4] (ت 516هـ/1122م).

ج ـ (ألفية ابن مالك): للإمام جمال الدين بن مالك[5] (ت672هـ/1273م).

د ـ (لامية الفعال): لابن مالك

و تدرس متون النحو السالفة الذكر مع شروحها مثل شرح ابن عقيل[6]، و حاشية الخضري[7]، وغيرها من شروح المتون .

---

[1] - الإمام الفقيه علامة القيرواني، الملقب بمالك الصغير، أبو محمد عبد اللّه بن أبي زيد عبد الرحمن النفزي القيرواني، إمام المالكية في وقته، وهو نار على علم توفي سنة (386هـ/996م) .

[2] - العلامة الشيخ خليل بن إسحاق ، المكنى بأبي المودة والملقب بضياء الدين، المعروف بالجندي ، توفي سنة (776هـ/1374م) . العلامة /ابن فرحون ، الديباج المذهب في معرفة أعيان المذهب : تحقيق: مأمون بن محيي الدين الجنان ، دار الكتب العلمية ، بيروت ـ لبنان ، ترجمة (224) ، ص: 186.

[3] - الإمام أبو عبد اللّه محمد بن محمد الصنهاجي ،المشهور بابن آجروم ، ولد بفاس بعدوة الأندلس سنة (672هـ/1273م) ، توفي بفاس يوم الأحد بعد الزوال لعشر بقيت من شهر صفر سنة (723هـ/1323م) الإمام/ السيوطي : بغية الوعاة في طبقات اللغويين و النحاة ، تحقيق: محمد عبد الرحيم ، ط/الأولى: 1426هـ/2005م ، دار الفكر ، بيروت ـ لبنان ، ترجمة (434) ، ص:207- 208.

[4] - العلامة أبو محمد القاسم بن علي الحريري البصري، أحد أعلام اللغة والأدب، توفي بالبصرة يوم الاثنين سادس أو ثامن رجب سنة (516هـ/1122م). ش/ابن خلكان: وفيات الأعيان ، تحقيق: د/ إحسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ـ لبنان ، ترجمة (535) ، 4/63- 68.

[5] - الإمام العلامة أبو عبد اللّه محمد بن مالك الملقب بجمال الدين الطائي الجياني: أحد أعلام النحاة، وحفاظ اللغة، وأئمة القراءات وعللها، له تصانيف كثيرة منها: الألفية المسماة (بالخلاصة)، توفي سنة (672هـ/1273م)، بدمشق. الإمام/ الصفدي: الوافي بالوفيات، باعتناء/ د/ إحسان عباس، ط/الثانية:1401هـ/1981م ، دار صادر، بيروت ـ لبنان ، ترجمة (1439) ، 3/359- 364

[6] - العلامة أبو محمد عبد اللّه عقيل القريشي الهاشمي، الملقب ببهاء... ترك مؤلفات عديدة منها: التفسير المسمى (التعليق الوجيز على الكتاب العزيز) وصل فيه إلى آخر سورة آل عمران، ومختصر الشرح الكبير، والجامع النفيس، (في فقه الشافعية) لم يكتمل ، مات بالقاهرة ليلة الأربعاء ثالث عشر ربيع الأول سنة 769هـ1367م، الإمام السيوطي : مصدر سابق :ص: 225- 226 ترجمة (1398).

[7] - الشيخ محمد بن مصطفى بن حسن الخضري؛ فقيه شافعي، عالم بالعربية ، ترك تآليف عدة منها: حاشيته على شرح ابن عقيل المذكورة، شرح اللمعة في حل الكواكب السيارة السبعة، وغير ذلك كثير، توفي (1287هـ/1870م)، خير الدين الزركلي، الأعلام، الطبعة: الخامسة عشر - أيار/مايو 2002م 7/100.

www.manaraa.com

مقياس علم التصوف:

الحكم العطائية لأبي الفضل أحمد بن عبد الكريم بن عطاء الله السكندري (709هـ/1309م)[1].

المبحث الثالث: أثر الزاوية على المجتمع

لقد كان لمدرسة الشيخ سيدي محمد بن الكبير أثر بارز على المجتمع التواتي ،وحتى المجتمع الجزائري ،وذالك من خلال مشايخ وعلماء تتلمذوا على يدي الشيخ وهم الآن يكملون وينشرون رسالته من خلال الخطب المنبرية في المساجد والكتاتيب ،ومن خلال تعليم النشاء تعاليم الدين الحنيف وفي ما يلي بيان لأثر ذالك على الحياة الاجتماعية والثقافية وحتى الدينية في المجتمع التواتي خاصة والمجتمع الجزائري بصفة عامة.

المطلب الأول : تأثيرات الزاوية من الناحية الاجتماعية .

لقد كان للزاوية تأثيرات من الناحية الاجتماعية وذالك من خلال أنها:

- تعتبر منارة لتعليم أمور الدين ونشره،خاصة في فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر ،وبعد الاستقلال ساهمة في تعليم المجتمع وتقليل نسب الأمية في المجتمع.
- تعتبر الزاوية كذالك حاضنة لأبناء المجتمع خاصة الطلبة المقيمين فيها بالمجان،سواء درس هؤلاء الطلبة في المدارس المدنية،أم لا،وحتى الدين أخفقوا في مشوارهم الدراسي في المدارس المدنية كانت المدارس القرآنية بالنسبة لهم حاضن جديد لا يعرف طلابها الفشل أبدا خاصة إذا صلحت النية.
- تعتبر الزاوية مركز اجتماعي حاضن للفئات المهمشة من الفقراء ،وأبنائهم وذالك بتقديمها للمساعدة الاجتماعية لهم .
- ساهمة الزوايا على مر السنين في المنطقة على تكريس وترسيخ مبدأ إكرام الضيف وإيوائه وقضاء حاجته إذا اقتضى الأمر ذالك،هذه المبادئ وللأسف الشديد أصبحت تقل شيء فشيء في المجتمع الجزائري ،بل وحتى في المجتمع الصحراوي المشهور أهله بالكرم والضيافة .
- لقد ساهمة الزوايا في حفظ المخطوطات لا حفظ في السطور ،ولكن حفظ في الصدور ذالك أن هذه المدارس تعتمد أسلوب الحفظ والتلقين ،هذا الأسلوب الذي تخلينا عليه وللأسف الشديد بسبب اعتمادنا على الكتب والوسائل التكنولوجية والمتعرضة دوما للتلف والضياع.

---

[1] - ش/ محمد مخلوف: المصدر السابق، ترجمة (735)، 1/292.

www.manaraa.com

المطلب الثاني : تأثيرات الزاوية الثقافية

لقد كان للزاوية تأثيرات من الناحية الثقافية وذالك من خلال :

- أن للزاوية اهتمام بلغة القرآن اللغة العربية فتجد الطالب يُجدُ النحو والصرف وحتى حفظ الشعر في بعض الأحيان والتي تُعينه على فهم العلوم الدينية والدنيوية.
- تساهم الزوايا في الحفاظ على الهوية الوطنية وهي الهوية العربية المسلمة يقول الشيخ عبد الحميد ابن باديس : شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب .
- تساهم الزوايا في تربية النشأة تربية صالحة تقوم على احترام الصغير والمرأة وتوقير الكبير وحفظ مكانة العالم.
- تعمل كذالك على غرس المبادئ السامية بصورة تضمن حاضر الأمة ومستقبلها.

المطلب الثالث : تأثيرات الزاوية الدينية

لقد كان للزاوية تأثيرات من الناحية الدينية وذالك من خلال :

- أنها ساهمة في حفظ القرآن برواية ورش عن نافع في الصدور قبل السطور ذالك أن أول ما يتلقاه الطالب هو حفظ القرآن برواية ورش عن نافع ولولا هذا الجهد لاندثرت هذه الرواية.
- كذالك ساهمة الزوايا ولازالت تساهم في حفظ أصول المذهب المالك ،وتطبيق ما تحتويه تلك المصادر في أمور الناس سواءً في أمور دنياهم أو أمور دينهم .
- أن الزاوية ساهمت بشكل كبير في حفظ العقيدة الأشعرية ،وهي بذالك تنتهج منهج الوسطية والاعتدال .
- تحصين النشأة من عوامل الغزو والإنزلاقات الفكرية وتأرجحات الأهواء.

الخاتمة:

الحمد للّه رب العالمين الذي بنعمته تتم الصالحات، وبفضله تتحقق الغايات، وفي ختام هذا البحث أخلص إلى بعض ما اشتمل البحث من النتائج و ما يلحق بها من التوصيات.

النتائج:

من خلال تتبع حياة الشيخ نجد أن الشيخ ـ رحمه اللّه ـ نشاء في عائلة كريمة معروفة الأصل والنسب وهذه ميزة جعلها اللّه في كل من اصطفاهم من عباده بدء من الأنبياء والرسل وصولا إلى العلماء على اعتبار أنهم ورثة الأنبياء .

من المميزات التي كانت تتميز بها المدارس القرآنية في الإقليم التواتي هو التكامل و التعاون لأداء رسالتها ، فقد كان مشايخ المدارس القرآنية يرسلون لبعضهم خيرة طلبتهم من

www.manaraa.com

أجل تعليمهم وتحضيرهم لتولي المهمات الصعبة في تعليم المجتمع وقد كان هذا الأمر سائدا في زمن لم تكن فيه أقل وسائل التواصل الاجتماعي مثل الرسائل البريدية فسبحان من جعل أمره بين الكاف والنون . ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال بحثنا هذا مايلي:

- إن الزوايا والمدارس القرآنية ساهمة في نشر الوعي الديني .
- إن الزوايا والمدارس القرآنية ساهمة في تحفيظ كتاب اللّه خاصة برواية ورش عن نافع ،ولولا هذه الأخيرة لتدثرت هذه الرواية ،كما اندثر غيرها من الراويات بسبب قلة أتباعها.
- إن الزوايا والمدارس القرآنية كانت منهاج للوسطية منذ إنشائها في إقليم توات بما يزيد عن ثماني قرون ولازالت سائرة على هذا المنهاج.
- إن الزوايا والمدارس القرآنية تربي في طلبتها ومريديها مبدأ التسامح وحسن التعامل مع الأخر.
- لازالت الزوايا تحافظ على بعض القيم الإنسانية والتي لولاها لبقيت هذه القيم روايات تقرأ في الكتب والمجلات كالكرم ،وحسن الضيافة ،وقضاء الحوائج ....
- إن الزوايا هي منهج حياة تسعى إلى رقي المجتمع وحضارته.

أما أهم التوصيات التي أختتم بها :

- السعي الحثيث للحفاظ على هذا المورث الديني والدنيوي .
- عصرنه الزوايا بوسائل التكنولوجيا الحديثة وهذا لا يتأتى إلا بدعم الجهات الوصية بذالك.
- السعي إلى تحقيق التراث الإنساني والديني الذي تزخر به الزوايا التواتية من مخطوطات في الفقه والأدب واللغة والفلك وغيرها من العلم .

www.manaraa.com